الروح في تاريخ الفلسفة

بقلم : الاستاذ عبد المهدي محبوبة

ظهر الانسان في هذا الوجود فشاهد العالم بظواهره وتتبع خوافيه بقوى مداركه ليكتشف عما وقفت عن معرفته الحواس اذ من طبيعة الانسان حب الاستطلاع .

نظر المادة فظهرت بها الكائنات من احياء واموات فلم يقف عند ذلك الحد بل قاده التفكير الى الشعور بالقوة المسيرة لتلك المادة بل بالقوة التي بها يتألم ويأنس ويذكر وينسى ويحب ويكره وما الى ذلك فاطلق على مجموع القوة المظهرة لتلك الافعال الحيوية بالروح . ولم يقف هذا التفسير على بلد أو عنصر دون سواه بل تعدى لنواحي المعمورة جمعا حتى انه لا تخلو لغـــة من لفظ يدل عليه .

والروح كما جاء في معاجم اللغـة بأنه ما به حياة الا نفس واستعمل في لفظ التذكير الا ما قل واخذ من الريح لاتصافها بصفتي التأثير مع الشفا فيه .

وقيل بان الروح والنفس والفكر والعقل اسماء لمعنى واحد أي انها مترادفات ، وقيل لمعان متفرقة كل معنى يعمل ضمن حدود اختصاصه ، وقيل ان النفس والروح معنى واحد ولكن الاول يؤتى به على لفظ التذكير والثاني على لفظ التأنيث .

واطلق العرب لفظ الروح على معان كثيرة : كالقرآن والوحي وجبريل وعيسى وامر النبوة وغير ذلك .

وشمل الروح في عرف الحكماء كل قوى الوجود أي مجموع الطاقة الكونية أو القوة المسيرة لما كنة العالم اذ لا عمل بدون طاقة وليست الطاقة الا قوة وهذه القوة هي الاساس المظهر لحركة الوجود حتى قال البعض بأنها حقيقة الوجود أو واجب الوجود .

وقد فسرت الظواهر الروحية بثلاثة تفاسير .

١ــ بأنها القوى الآليـة الكيمياويـة الطبيعيـة العاملة في المادة الجامدة .

٢ــ بأنها تحصل بوجود قوى متميزة عن القوي الآلية ولا تستحيل اليها تسمى الحياة .

٣ــ بأنها تحصل بوجود روح عام حال بالطبيعة كلها يسوق كل كائن فيه الى غايته ويربيه على مقتضى الدستور الذي سنه له .

وافترق الحكماء في تفسير الروح فمن قائل بأنه ملازم للمادة وحصل من انسجامها ولم تكن له ذات خاصة به وليس الروح الا شكلا من اشكال المادة وليست الظواهر الحيوية إلا من اعمال المادة حتى قيل ان المادة تفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء وهذا ما قاله الماديون ككابيو سيبس وصاحبه ديموقريطس (صاحب نظريـة الجوهر الفرد) وابيقور ولا مثريه وكثير من المعاصرين .

ومن قائل ليست المادة إلا آلة لتلك القوة المجردة أو الطاقة المسيرة الا وهي الروح وذهب على ذلك اكثر الفلاسفة واشهرهم كسقراط وافلاطون وارسطو وديكارت وبركلي وجان جاك روسو وكانت وهيجل واضرابهم .

وجاؤا على عقيدتهم ببراهين كثيرة ولكنها قد تنأى عن روح العصر وقد تقاربه لما لتبدل العصور على الافكار من اثر .

عرفنا حسب ما يمليه العصر بوجود الخلايا أو الحجيرات الجسدية أو المادة البروتوبلازمية المكونة للحجيرات التي بمجموعها تكون الجسم المظهر الافعال الحيوية وان تباين الحجيرات الميتـة عن الحية لازم بوجود هذه الافعال الحيوية التي يقوم بها بروتوبلازم الحجيرة الحي ؛ ولم تكن هذه الافعال بدون قوة كامنة قادرة على تسيير تلك المادة كما تسير قوة البخار السيارة والقطار ، وان تلك القوى قد تكون بمجموعها في جميع البروتوبلازم في الهيكل العام للجسم ما تدعي بالروح .

وقد نأى العقل عن ادراك الروح لأنها تبعد عن حقيقة التصوير ومدارك الحواس ولكن العلم قد اثبت ما يشابه تلك القوة بمعنى آخر وهي الطاقة الكامنة في المواد كالطاقة الكيمياوية في الفحم والنفط .

وذهب (بركلي) العلامة الأيرلندي في كتابه (اصول المعرفة البشرية) الى ان الفرد يستطيع ان يميز تميزاً واضحاً بين ذاته وافكاره فان للعقل وجود مستقل لا شك فيه وهو الذي يتناول اثبات الافكار فيصل بينها وينظمها وذاك حينما نفكر في شيء ماثل بمجموع صفات كالانسان فيرتسم في ذهننا بملابسه ولونه وشكله

وما لى ذلك فتكون كفكرة واحدة إذ يتمثل في ذهننا انسان بمجموع صفاته وان اثبات تلك الافكار وتنظيمها يتوقف على الافكار المستقلة عن الذات التي يقوم بها العقل وهو الروح .

وذهب بعض الفلاسفة الى ان الامور المجردة لا تصدر إلاّ من عامل مجرد وهو الروح وان حقيقة الاشياء المجردة لا تدرك الا بالعقل المجرد بل ان اساس هذا الوجود الذي يعمل وراء هذه الظواهر المادية انما الروح الذي لا مادة له .

وقد دلل على تجرد الروح العلامة المعاصر الشيخ محمد جواد الجزائري في كتابه (الآراء والحكم) الغير مطبوع بقوله :

واذا الطبيعي استزادك خبرة كي لا يظلا
فتعقل النفس المجرد شاهد أقوى وأجلى

وقد وضح ذلك بان تعقل النفس الناطقة المجرد عن المادة ولو احقها من المقدار وغيره كالصور الكلية المشتركة بين اشخاص ذوات مقادير مختلفة قاض بتجردها لاستلزام تجرد الحال تجرد المحل .

وقد اصبح لمناجات الارواح ولأعمال العقل الباطن في التنويم المغناطيسي أثر محسوس في كيان المذهب الروحي كما قيل منذ عهد بظهور روح قتيل فى (دار مدام فوكس) في الولايات المتحدة واخبر بالجسم الذي كان حال فيه وموضع دفنه وحقق ذلك كما يقال : رجال من اهل الذكاء والفهم من الولايات المتحدة كالمستر ارموندس رئيس مجلس الشيوخ آنذاك والاستاذ مابس المدرس بجامعة نيويورك والعلامة الكبير هير ، وقد توسعت تلك البحوث حتى تكونت لها جمعيات مهمة واجرى مئآت من العلماء والوف من الاذكياء التجارب الكثيرة خصوصاً في إنكلترا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

واما القول بالعقل الباطن واجتيازه المسافات الشاسعة لنيل الاخبار وما سطرت عنه المجلات والكتب فذلك غني عن (البيان)

وقد روى المعلم الفيلسوف (كاردك) في كتابه (الوسطاء) كثيراً عن تكلم الروح ومخاطبتها ؛ وقد تناقلت الافواه هكذا بحوث خصوصاً فى الاوقات الأخيرة .

واختلف الحكماء في ماهية الروح وحقيقته فقال ارساطا طاليس انه معنى مرتفع عن الوقوع تحت النسق واللون وانه جوهر بسيط مثبت في العالم كله ولا يجوز عليه صفة القلة والكثرة وهو على ما وصف من انبساطه في هذا العالم غير منقسم الذات والبنية وانه في كل حيوان العالم بمعنى واحد .

وجاء (ليبنتز) في القرن الثامن عشر بنظريته القائلة بأن أساس الموجودات هو الروح وهو ينقسم الى جزئيات صغيرة من الروح لا امتداد لها تسمى الذرات الروحية وهذه الذرات يخلقها الله .

وقد ذهب الفيلسوفان المتقدمان الى معنى الروح في دائرته العظمى فعبرا عنه بما يخص القوة الكونية جمعا وتفرقت الآراء في حقيقة روح الانسان ووحدته فقيل بأنه لطيفة لا هوتية في طبيعة ناسوتية ، وذهب (اورليوس اوغسطين) الى ان الروح ابتدأ في الزمان ولكنه خالد ، وهو ليس بمركب وليس بمادة وليس له امتداد في المكان ويختلف جوهره عن جوهر البدن ولو انهما يعيشان في ود وانسجام .

وقيل بأن الروح مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسير فيها .

وذهب (فرفوريوس) الى ان الروح جوهر نوراني مدرك للجزئيات والكليات حاصل في البدن متصرف غني عن الاغتذاء بريء عن التحلل والفناء ولا يبعد ان يبقى مثل هذا الجوهر بعد فناء البدن ويلتذ بما يلائمه ويتألم بما ينتابه .

وقال نصير الدين الطوسي بأنه جوهر مجرد .

وذهب بعض الحكماء الى ان الروح جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان .

وقال البلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين : ان الروح هو الحياة التي يحيا بها المحل لوجوب العلم والقدرة والاختيار ، ورأى شيخ الامامية المفيد : ان الارواح هي اعراض لا بقاء لها ، وانما عبد الله تعالى منها الحي حال بحال فاذا قطع امتداد المحي بها جاءت الموت الذي هو ضد الحياة ؛ ولم يكن للارواح وجود فاذا أحيا الله تعالى الاموات ابتدأ فيها الحياة التي هي الروح . والحياة التي في الذوات الفعالة هي معنى تابع يصحح العلم والقدرة وهي شرط في كون العالم عالماً والقادر قادراً وليست من نوع الحياة

التي تكون .

فذهب المفيد في الروح الى ما يشابه قول البلخي والمعتزلة ولكنه قسم الروح الى قسمين . فالاول هو الروح الحاصل به قوام الجسم والقائم بالتغذية والحركة وما شابه ذلك . والثاني هو ما يعبر به بالارادة وبه يعرف العالم عالماً والقادر قادراً ويتباين عنه الافراد ضعفاً وقوة ومن اعماله التذكر والنسيان والحب والبغض وما الى ذلك .

وذهب الكثير من الأشعرية بتغير روح الانسان أي ان روحه الآن غير روحه من قبل ويستمر هذا التغيير حتى قد تكون له الف روح في ساعة واحدة فاذا مات فلا روح تصعد الى السماء أو تقبضها الملائكة ولا تعذب وانما يعذب الجسد .

ولم يقف الحكماء على ما تقدم بل قادهم التفكير الى البحث عن الروح في انها واحدة أم متنوعة لدى مختلف الافراد فقال نصير الدين الطوسي : بان الارواح البشريه مجردة وتدخل تحت حد واحد يقتضي وحدتها .

وقال العلامة الحلي : ان النفوس البشرية متحدة بالنوع متكثرة بالشخص وهذا نفس مذهب ارسطو وجماعة من القدماء .

وذهب البعض الى أن النفوس الحيوانية من انسان وغيره متماثلة متحدة الهيئة واختلاف الاعمال عائد لاختلاف الآلات .

وقيل ان النفوس مختلفة بالماهية بمعنى انها جنس تحته انواع مختلفة تحت كل نوع افراد متحدة الهيئة متناسبة الاحوال وذهب الى خلود الروح كثير من الحكماء المتقدمين والمتأخرين كسقراط وافلاطون وديكارت وبركلي وغيرهم وكان لهذه الفكرة وضع ثابت في رأي سقراط كما يشاهد ذلك في محاوراته فيقرر نهائيا اذن : يا سيبس فالروح خالدة بغير شك هي مستعصية على الفناء وستحيا ارواحنا حقاً في عالم آخر .

وفي كيفية بقاء الروح آراء شتى ولكن للمثل الافلاطونية في خلود الروح الكاس المعلى خصوصاً في المانيا بين عهدي ديكارت وكانت .

وللمثل الافلاطونية اعتقاد متقدم يجر اليها وذلك ان كثيراً من الفلاسفة ذهبوا الى ان الجسم قد يعيق الروح عن

ادراك الحقائق فاذا أراد المرء الاتصال حقاً بالمعاني المجردة يقتضي انفصال الروح معنى عن البدن فلا يشعر المرء بعمل الحواس عند اتصالها بالمحسوسات وبذلك ذهبوا الى تحسين الموت وانه حادث ينفصل فيه الروح من اغلال الجسد فينتقل الى جسد مثالي نوراني لا تدركه الابصار كالجسد الدنيوي شكلا لا مادة فتصبح النفس فيه سعيدة منعمة تدرك الحقائق عن كثب وهذا ما يقارب رأي الأمامية وما قيل في تفسير (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون) .

وذهب كثير من القدامى على خلود الروح بنظرية التناسخ القائلة بان الانفس لم تزل تتكرر في الصور والهياكل لم تحدث ولم تفن وانها باقية وذهبوا الى ان الصالح تنتقل روحه الى جسم صالح والطالح تنتقل روحه الى طالح .

ولكن هذا الرأي قد يبدو متفقاً بعض الشيء والمثالية ولكن ليس من ذلك شيء اذ التناسخ نظرية لا تمت للحياة الاخرى التي بعد الموت بصلة إذ الأنفس تتكرر في الدنيا والمثالية لا تمت للحياة الاولى بصلة اذ ان ذلك يخص امور الآخرة .

واعطى نتيجة الآراء المتقدمة في خلود الروح الشاعر الكبير بيرون بالبيت التالي:

وهيهات ان تفنى جميعاً وانما لديك من الاسرار باق مخلد

ولعلاقة الروح بالبدن نظريات شتى وآراء متفرقة فمن تلك ما اعتقده [شيلنج] وهي ان المادة والعقل كلاهما جانبان لوحدة اسمى اذ الطبيعة روح مرئية والروح طبيعة خفية والاولى تكمل الثانية وان كل شيء من صنوف المادة يرمز الى الروح والكون باسره عبارة عن كائن عضوي واحد يقع في مراتب تختلف علواً وسفلا والغرض من الطبيعة هو ان يبرز فيها الروح ويتجلى ويصل في ذروته الى الانسان .

ورأى ديكارت بان العلاقة بين العقل والجسد لا تتم الا بواسطة جزء معين هو الغدة الصنوبرية تأخذ من الروح امرها فترسله الى الاعصاب فالعضلات كما تتلقى من الاعصاب ما تأتي به من رسائل من العالم الخارجي وتوصلها الى الروح وكل ما يستطيعه الروح وبوساطة الغدة الصنوبرية هو أن يوجه القوة الحيوية الموجودة بطبيعتها في الجسم فلا تزيد على ان تقود تلك القوى .

شقشقة هدرت ثم قرت

— ١ —

بقلم : الاستاذ صدر الدين أحمد

اذا كان موضوع النقد عند الطوائف المثقفة ضربا من ضروب الاصلاح فقد استلزم ان يكون الناقد ضربا من ضروب المصلحين حتما ، فهل يباح لكل امرئ ان ينتصب ناقداً كيفما اتفق ؟

يجول في مجال اعتقادي ان فن النقد ليس بالسهل المهل بحيث يسلس وشيكا لكل طامع في اقتياده ، ولا بالصعب أشد الصعوبة بحيث يؤس كل آمل في ارتياده ؛ وانما هو ميراث اجتماعي مشاع بين مدارك الناس عامة ، ونصيب كل امرئ منه معقود على مقدار سعة نظره في آفاق العلم والفطنة ؛ وعلى مقدار شوقه الى اعتناق الحقائق ذوات الريع والنور والجمال . ولولا ان الواقع كذلك لامتنع ناموس التطور بالبداهة عن تغليب سلطانه على سائر اجناس الهيأة الكونية الواعية المفكرة .

وغني عن الاسهاب ان طبيعة الحياة السيكو - بيولوجية المستعلنة في تمام اطوار البشر ترتكز بحكم الضرورة على اركان شتى من النقد المشاع في محاشد الاسواق والاندية والشوارع والمحاكم وغيرها ؛ ولكنها تتخذ لها انماطاً مختلفة مؤتلفة تبعاً لملابسانها في مثل مطالب البيع والشراء ، أو الزواج والطلاق ، أوالظلم والعدل وما خلافها ...ولعل من ثمة صار الناس احراراً في امتراس النقد باعتبار كونه حقاً مباحا لهم من غير تقييد ؛ولعل من ثمة ايضاً تفرق الناقدون انفسهم طرائق قدداً فاختص كل فريق منهم بمعاناة قسط معين من اقساط الفنون والآداب .

وفي الواقع ان النقد مهما ازدان باللباقات ، لا تقع عند الثقات موقع الزكانة مالم يهدف بالصميم الى الخير الاجتماعي الشامل والى النهوض بأماني الانسانية الى ارفع مراقي النماء والسناء ؛ أما انه اذا انتقض فتله فقام على سجايا الكيد وسوء الظن فقد انقلب من شاهق الى درك النكس والتخليط والى قعر الجنف والايهام ومامهرب له حينئذ من مطاوعة الباطل ومجاراة الزيغ والاستهتار.

فلو تصفحنا — على سبيل المثال — مقالا للاستاذ محمد حسن العضاض منشوراً في العدد (١٣و١٤) من مجلة البطحاء فما ذا نلحظ فيه ؟ وماذا عسانا نستنبط منه ؟ ...

نلحظ باديء ما نلحظ فيه ان الاستاذ العضاض قد اقحم نفسه اقحاما بين اديبين متناقدين هما الدكتور البصير والشيخ الخاقاني ، وهو يعلم يقيناً ان كلا منهما ليس من العجز عن تزكية ادبه بحيث لم يعد يلمس مناصاً له إلا تحت ستار الاستنجاد بلسان غيره من الادباء .

يزعم الاستاذ العضاض ان الشيخ الخاقاني (يظلم نفسه حين ينقد الدكتور البصير — ويظلم القراء معه . يظلم نفسه لأنه يقذف بها في هذا السبيل التي لا يعرف لها اولا ولا آخراً . ويظلم القراء لأنه يكرههم على قراءة المعلومات التي عني بها والتي تتلخص في تعيين ميلاد الشاعر ووفاته ونسبه وارومته) .

ونحن لا ندري كيف التبس تأويل القصد المتسق على استاذنا المحترم حتى فسر خدمة الادب بظلم النفس ، بينما كان المفروض للهدى فيه أن يتدبر رأيه قبيل اعلانه الى المسامع ، وان يسخو — ولو سخاء البخلاء — على أي جهد أدبي حاصل فيسبغ عليه من روعه سرابا — ان لم يجد غيثاً من التشجيع وحسن الولاء .

ثم لا ندري ايضاً ، من أين تمحل دعوى الظلامة للقراء فانطق نفسه بها عنهم فاهان فيهم اذواقا عفيفة بل وعقولا حصيفة عالمة بأن التحقيق الادبي في جملته وتفصيله لا يصح ان يضيق ابداً فيلفي من سياقة اسم الشاعر ونسبه وتحديد مولده ووفاته ، ومتى جاء التحقيق ممسوحا من هذه المعالم الاثيرة جاء ادنى الى النقص منه الى الكمال الممكن .

ويستطرد الاستاذ العضاض نقده فيقول (واعل اصدق

واعتقد ارسطا طاليس ان علاقة الروح بالبدن ليست بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمسالكة ولا بالاتصاق ولا بالمقابلة وانما هو التدبير والتصريف فحسب وذهب على ذلك اكثر حكماء الاسلام وأعاظمهم من اكابر المتصوفة والاشراقيين ، ومن الامامية الشيخ المفيد ، وبني نوبخت ، والمحقق نصير الدين ؛ والعلامة الحلي ، ومن الاشاعرة الراغب الاصفهاني ، والغزالي ، والفخر الرازي ، وكثير غيرهم ؟

العمارة — عبد المهدي محبوبة